﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عـــودة لـــذمّ الـــيـــهـــود، وتـبـيـان بعض مـخـالـفـاتـهـم ومـنـاقـشـتـهـم عليها

لَمَّا أخبر الله تعالى في الآية السَّابقة أنَّ المرء لا ينال البِرَّ إلَّا بالإنفاق ممَّا يحبُّ؛ ذكر في هذه الآية نوعًا من التقرُّب إلى الله تعالى بترك ما يحبُّه الإنسان، وذلك أنَّ يعقوب عليه السلام مرِض، فنذر - إن شفاه الله تعالى - أن يحرِّم على نفسِه أحبَّ الطَّعام إليه تقرُّبًا إلى الله تعالى، فشفاه الله تعالى، ففعل ذلك[1]، وفي هذه الآية وما يليها عَودٌ إلى ذمِّ اليهود، وتعديد ما ارتكبوه ممَّا تضمَّنته الآيات السَّابقة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَانَ حِلًّا﴾: أي: حلالًا، وهو مصدَر نُعِت به؛ ولذا يلزم التّذكير والإفراد دائمًا، نحو: ﴿وَطَعَامُكُمۡ حِلٌّ لَّهُمۡ﴾ [المائدة: 5]، و﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ﴾ [الممتحنة: 10]. وأصل الحَلِّ هو: حلُّ العُقدة، ثم استُعير؛ لكون الشّيء حلالًا، لما فيه من معنى الإباحة والسَّعة، ويقال: حلَّ الشيءُ حِلًّا وحلالًا، كما يقال: حَرُم حِرْمًا وحَرامًا[3]، "والحلّ: الحلال. ومنه قولهم: هذا لك حلّ وبلّ. وقال بعض أهل اللّغة: بل إتباع، وقال آخرون: البلّ: المباح لغة حميريّة"[4].

2) ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: "هو يعقوب بن إسحاق، سمّي بهذا الاسم لأنّه

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/262.
(2) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 2/721.
(3) الرَّاغب، المفردات: (حل)، والبيضاويُّ، أنوار التنزيل: 2/28.
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (حلل).

ولد مع عيصو في بطن واحد، ولد عيصو قبله، ويعقوب متعلّق بعقبه، خرجا معا، فعيصو أبو الرّوم، ويعقوب جدّ اليهود"[1]، "وسمّي يعقوب إسرإل بذلك، ولما عرّب قيل إسرائيل؛ قال ابن الكلبيّ: كل اسم في العرب آخره (إل) أو (إيل) فهو مضاف إلى اللّه ﷻ كشرحبيل وشراحيل وشهميل، وهو كقولك عبد اللّه وعبيد اللّه، وهذا ليس بقويّ، إذ لو كان كذلك لصرف جبريل وما أشبهه، والإلّ: الرّبوبيّة. والأُلّ، بالضّمّ: الأوّل في بعض اللّغات وليس من لفظ الأوّل"[2]، و"قيل: معناه عبد اللّه، لأنّ (إيل) اسم من أسماء اللّه بالسّريانيّة؛ وقيل صفوة اللّه، وقيل سرّ اللّه؛ أو لأنّه انطلق إلى حاله، خشية أن يقتله أخوه عيصو، فكان يسري بالليل ويكمن بالنّهار، وقصته مسطورة في بعض كتب الأحاديث"[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

محاججة اليهود بنصوص التّوراة الّتي لم تحرّم ما حرّمه يعقوب على نفسه

كلُّ المطعومات الطيِّبة كانت حلالًا لبني إسرائيل قبل نزول التَّوراة، ولم يُحرَّم عليهم منها شيءٌ، لا كما زعم اليهود من أنَّ الطَّعام المحرَّم عليهم كان محرَّمًا على نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء، مدَّعين أنَّ ذلك في التّوراة، ومفاد ذلك أنّ اليهود اعترضوا على استباحة المسلمين بعض الأطعمة، كلحوم الإبل وألبانها، بدعوى أنّ ذلك حرّمته شريعة إبراهيم، فردّ سياق الآية دعواهم، ببيان أن ما حرّمه يعقوب على نفسه، إنّما كان لسبب يختصّ به، فاتّبعه بنو إسرائيل في ذلك التّحريم، ولتأكيد ذلك طلب منهم أن يأتوا من التّوراة، بدليل يثبت أنّ شريعة إبراهيم تحرّم ذلك إن كانوا صادقين، فعجزوا وأفحموا، وانقلبوا صاغرين[4].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عقب).
(2) ابن منظور، لسان العرب، (أل).
(3) الكفويّ، الكليات، (اس).
(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 85.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة تقديم المسند إليه في: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾:

تقويةُ حكمِ حِلِّ جميعِ المطعوماتِ، والتَّشويقُ إلى معرفتِه

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قُدِّم فيه المسنَد إليه: وهو ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾، على المُسند: وهو ﴿كَانَ﴾، وكان يمكن أن يقال في غير القرآن: كان كلُّ الطَّعام حِلًّا لبني إسرائيل، وفائدة هذا التقديم تقويةُ حكم حِلِّ جميع المطعومات في أوَّل الأمر لبني إسرائيل، والاهتمام بالتنصيص على ذلك؛ لأنَّ التقديم يقتضي تكرُّرَ المسنَد إليه مرَّتين: مرَّة لفظًا، ومرَّة تقديرًا؛ لأنَّ التقدير: كلُّ الطَّعام كان هو حلًّا لبني إسرائيل[1]، والتَّشويقُ، إذ قولُه تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ يُثيرُ في الذِّهن معرفة ما يتعلَّق بهذا العمومِ في الطَّعامِ؛ فجاءَ المسندُ مجيبًا عمَّا ثارَ في ذهن المتلقِّي.

دلالة اسميَّة الجملة في: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾:

تأكيد الخطاب والـــردُّ على المنكرين من اليهود

إيثار الجملة الاسميَّة على الفعليَّة في قولِه تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو المناسِب لحال المقصودين بالخطاب - وهم اليهود -، فجاء الرَّدُّ عليهم بصيغة الخبر الإنكاريِّ، وبيَّن تعالى أنَّ المحرَّمَ عليهم هو ما حرَّمه يعقوب على نفسِه، وذلك قبل نزولِ التَّوارةِ، بدليلِ أنَّ الأنبياءَ قبلَه لم يكن محرَّمًا عندهم ما حرَّم يعقوبُ على نفسِه، وكذلك الأمر في التَّوراةِ، ولذلك طالبَهم بالإتيانِ بالتَّوراةِ وتلاوتِها: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾؛ لإثباتِ بطلانِ زَعْمِهم.

دلالة تخصيص التَّحريم بإسرائيل عليه السلام:

استجلاب بني إسرائيل إلى ما ينفعهم

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ خُصَّ فيه إسرائيل - أي: يعقوب عليه السلام - بالذِّكر لَمَّا كانت الآية في سياق إقامةِ الحُجَّة

(1) الإسفراييني، الأطول: 1/382.

على بني إسرائيل، واستجلابِهم إلى ما ينفعهم من اتِّباع النَّبيِّ ﷺ بعد أن ضلُّوا، وسعَوْا في إضلال غيرِهم من المؤمنين[1].

فائدةُ التقييد بـ ﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾:

دفعُ وهْمِ أنَّ التَّحريمَ كان غيرَ مختصٍّ ببعضِ الزَّمنِ

قُيِّدَ التَّحريمُ في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾، بحرفِ ﴿مِن﴾ إذ هي متعلِّقة بـ: ﴿حَرَّمَ﴾[2]؛ فهو تقييدٌ لتحريمِ يعقوب لحومَ الإبلِ وألبانَها على نفسِه ببعضِ الزَّمن، وهو ما كان بين شفائه ووفائه بما نذره من تحريمهما عليه - تقرُّبًا إلى الله تعالى - كما دلَّت عليه الآثار[3]، ولو قيل: قبلَ أن تنزَّل التوراة؛ لربَّما فُهم منه أنَّ التَّحريم كان مستغرقًا لجميع الزَّمن السَّابق لنزول التَّوراة[4].

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ في قولِه: ﴿تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾:

إفادة تجدُّد نزول التوراة بالنِّسبة إلى زمن يعقوب عليه السلام وبنيه

جاء لفظُ ﴿تُنَزَّلَ﴾ بصيغة المضارع في قولِه تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾؛ وذلك ليدلَّ على تجدُّدِ نزول التوراة وحدوثه، وذلك بالنِّسبة إلى الزَّمن الَّذي كانت فيه كلُّ الأطعمة حلالًا لبني إسرائيل، إلا ما حرَّمه يعقوب عليه السلام على نفسه وتَبِعَه بنوه، فإنَّ نزول التَّوراة كان بعد ذلك بمدَّة طويلة[5]؛ فأفادت هذه الصِّيغةُ حدوثَ نزولِ التَّوراةِ لا نزولَها، ولو قال: من قبل نزول التَّوراة؛ لفُهِمَ أنَّهم على علمٍ بنزولِها.

بلاغةُ الأمر في قولِه تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾:

إقامةُ الحجَّةِ على اليهودِ بطلبِ الإتيانِ بما يُثبِتُ كذبَهم

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ الأمر فيه ليس على حقيقته، بل هو لتعجيز اليهود وإقامة الحجَّة عليهم، فإنَّه تعالى لَمَّا عَلِم أنَّهم لا يأتون إذا استدلُّوا بها على الحقِّ؛ أمر نبيَّه ﷺ أن يأمرهم بالإتيان

(1) البقاعيُّ، نظم الدرر: 5/2.
(2) وهو قول العُكبريِّ وغيره، وردَّه أبو حيَّان، وجعل ﴿مِن﴾ متعلِّقة بـ: ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، يُنظر: أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/265.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/74.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/3.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/3.

بالتَّوراة على سبيل التعجيز لهم، وقد روي أنَّهم بُهِتوا، ولم يجسُروا على الإتيان بالتَّوراة كما أُمروا، وهذا من دلائل نبوَّة النَّبيِّ ﷺ[1].

توجيهُ وضعِ الظَّاهر موضع المضمرِ في قولِه: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾:

مقتضى البلاغةِ الإظـــهـــارُ؛ لانقطاع الكلام عمَّا قبله

أظهرَ النَّظمُ لفظَ التَّوراةِ في قولِه تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ولم يُضمرْ ذكرَها مع أنَّه تقدَّم ذكرُها، فلم يَقُل تعالى: فأتوا بها؛ وإنَّما كان الإظهار أبلغَ من الإضمار؛ لأنَّ الكلامَ في هذا الموضعِ منقطعٌ عمَّا قبله؛ إذ هو خطابٌ أُمِر النَّبيُّ ﷺ بتوجيهه لليهود، وما قبله كان حكايةً عن حالهم قبل نزول التَّوراة[2].

دلالة الشَّرْط في: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

في اشـــتراط الـصِّـدق على الكذوب استهزاء به

حُذِفَ جوابُ الشَّرطِ في قولِه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الذي يدلُّ عليه ما قبله من قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾، والتَّقدير: إنْ كنتُم صادقين؛ فأتوا بالتوراة، فاتلوها؛ وذلك لانتفاءِ قدرتهم تمامًا، فحذفها من النَّصِّ مشاكلة؛ لانتفاء حصوله في الواقع، ولَمَّا كان كذبهم فيما ادَّعوه في هذه الآيات وفي غيره معلومًا؛ كان في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ استهزاءً وتهكُّم بهم؛ إذ جُعل الصِّدق ممَّا يمكن أن يتَّصفوا به، وهو كقولك لأحد الجُبناء: إن كنت شجاعًا؛ فالقَني[3]، ومعلومٌ أنَّ اللِّقاءَ ممتنعٌ من جهتِه.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/473، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/265، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/9.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/59.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/265.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»